نحن السبب في أنّه يوجد أناسٌ لا يعرفون المسيح

حوار مع المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

كم هي استثنائيّةٌ أوقاتنا؟ كيف نتغلّب على الضعف الروحيّ؟ ماذا نفعل إذا لم يكن لدينا أبٌ روحيٌّ مختبِر؟ كيف نصلّي وندعم رسالة الكنيسة؟ ما هي الرهبنة المعاصرة؟ ولماذا يجب على المتزوّجين قراءة أقوال الآباء الشيوخ؟...

س: صاحب السيادة، هل تشعر بأنّنا نحيا في أزمنةٍ غير اعتياديَّة؟ أعلم أنّي أبدو متأفّفًا، مثل أولئك الذين يتذمّرون دائمًا قائلين إنَّ الشمس كانت أكثر ضياءً في الماضي، والعشب كان أكثر خضرةً، والناس كانوا ألطف. غير أنّ كثيرين اليوم، ولا يقتصر الأمر على المسيحيّين، يشعرون بحالةٍ عامّةٍ من القلق والاضطراب الداخليّ.

ج: أعتقد أنّنا تقدّمنا في العمر، ولذا نميلُ إلى إضفاء صورةٍ مثاليّةٍ على الماضي والاعتقاد أنَّه كان أفضل من الحاضر. من الواضح أنّ العالم يتّجه نحو الأزمنة الأخيرة، لكن لا يوجد لدى المسيحيِّين "أمس" أو "غد"، بل فقط "اليوم" الذي يحيونه في حضرة الله من خلال أسرار الكنيسة والقدّاس الإلهيّ. عندما نحتفل بأعياد الكنيسة نقول: "اليوم يولد المسيح"، "اليوم معموديّة المسيح"، "اليوم يُصلَبُ المسيح". وبهذا نحيا في حاضرِ اليوم وفي ملكوتِ السمواتِ الذي سيأتي. أظنُّ، يا عزيزي، أنَّه يجب أن نشكر الله على ملكوت السموات. كما اعتاد الشيخ بايسيوس أن يقول إنَّه كلَّما مررنا بمِحَنٍ أكثر، باركَنا الله أكثر.

س: إذًا، لا يوجد في الكنيسة "أمس" أو "غد"؛ ولكنَّ أمورًا غريبةً تحصل في العالم خارج أسوار الكنيسة: يجري تشريع زواج المثليِّين، وأصبح قتلُ المسنِّين قانونيًّا في بعض الأماكن، بناءً على طلبهم أو ربّما بطلبٍ من الذين تعبوا من رعايتهم. نشهد دعايةً غير مسبوقةٍ للفجور، ونرى المآثم تُرتكَبُ جهارًا أمام أعيُننا. ألَسْنا مُحقِّين بالقول إنَّ عالمنا بات مختلفًا عمَّا كان عليه قبل 50 عامًا فقط؟

ج: من المؤسف أنَّ إخوتنا لا يعرفون الإنجيل المقدّس ويرتكبون الأفعال التي وصفتَها. إنَّنا نصلّي من أجلهم ومن أجل العالم أجمع. فكِّر في هذا: لطالما كانت الظروف صعبةً بالنسبة إلى كنيستنا، فقد تأسَّست في زمن الوثنيّة، واضطُهدت على مدى قرون. أتذْكُرُ ما حصل في روسيا منذ بضعة عقودٍ فقط؟ وعلى الرغم من ذلك، تُواصلُ كنيستنا الصمود. نحن لا نيأس؛ بل، عوضًا عن ذلك، نشكر الله لأنَّه يقودنا إلى الكنيسة، ونصلِّي سائلين إيّاه أن يسمح لنا بالبقاء في الكنيسة. نُصلِّي من أجل مَن هم خارج الكنيسة لكي يختبر إخوتُنا هؤلاء الله، لأنَّ ذلك مسؤوليّتنا أيضًا. نعلم أنّ الشيطان هو رئيس هذا العالم خارج الكنيسة. ولكنَّ المسيح سينتصر على الشيطان، ومَن يطلبون حقيقةَ المسيح سيكونون معه على الدَّوام. إنَّ أعظم مسؤوليّةٍ تقع على عاتق أبناء الكنيسة هي أن يبشّروا بحقيقة الإنجيل لمن يريدون سماعها.

س: في التسعينيّات، شهدت روسيا موجةً هائلةً من الحماسة الروحيَّة، وأمّا اليوم فإنَّنا نرى بوضوحٍ أنَّ اهتمام الناس بالإيمانِ بات في تراجُع. هذا يعني أنّ مَن يجب أن يكونوا "أبناء الملكوت" قد اختاروا ملكوتًا مُغايرًا تمامًا وسيِّدًا آخر عِوضًا عن المسيح. كيف ينبغي للمسيحيّين أن يحافظوا على غيرتهم الروحيَّة؟

ج: لطالما كان ارتدادُ الناس عن المسيح سببَ حزنٍ للمسيحيِّين، لكنَّه يصبح أيضًا دافعًا لإظهار المحبَّة والصلاة من أجل أولئك الذين حادوا عن المسيحيَّة. يجب أن نُعامل مَن لا يؤمنون بالمسيح بمحبَّةٍ وحزنٍ عظيمَين. يخبرنا المسيح في الإنجيل أنَّ علينا أن ندعَ نورنا يضيء أمام الناس لكي يعرفوا الله (راجع متّى 5: 16).

نحن السبب في أنّه يوجد أناسٌ لا يعرفون المسيح. يجب أن نشعر بمسؤوليّةٍ هائلةٍ تجاه تلك النفوس. إذا صرنا قدِّيسين، فإنَّنا سنجذب الناس إلى المسيح. ولكنَّ مشكلتنا تكمنُ في أنَّنا نفتقر إلى القداسة في داخلنا. من هنا، نحن غير مُنصفين تجاه إخوتنا، لأنّهم لا يرون القداسة فينا فلا ينجذبون إلى الإنجيل. من هنا، ما نحتاج إليه في الحقيقة هو وجود قداسة وقدِّيسين في كنيستنا.

س: كان سؤالي مختلفًا قليلًا: ما الوسيلة للحفاظ على الإيمان المسيحيِّ والتشوُّقِ إلى القداسة إذا كان إيمانُنا يتضاءل بعد السنوات الأولى الملتهبةِ بالغيرة عند اعتناق المسيحيّة؟ إنَّنا نرى المآسي تقع حتّى في عائلات الكهنة. زوجة كاهنٍ أعرفه قد تركَتْه، وبعض طلّاب اللاهوت الذين كنتُ أعرفهم انتهى بهم الأمر بالطلاق. تحصل أمورٌ مؤسفةٌ حيث كنّا نظنُّ أنَّها لا يمكن أن تحصل. ما الذي يجب أن يركّز عليه المسيحيّون في عصرنا ليَحولوا دون ذلك؟

ج: من المؤكَّد أنّ حياتنا ستكون دائمًا مملوءةً بالتجارب. وبالطبع، ستحاول كلُّ تلك التجارب أن تستأصل محبّتنا لله. إضافةً إلى بقائنا يقظين ونشيطين في حياتنا، من المهمّ لمَن يريدون المحافظة على حرارة قلوبهم أن يكون لديهم أبٌ روحيٌّ بارٌّ وتقيٌّ يمكنهم اللجوء إليه في أوقات التجربة القاسية. إنَّ آباءنا الروحيِّين، مَسوقين بنعمة الروح القدس، يساعدوننا في حفظ محبّة الله في قلوبنا. علينا أيضًا أن نغذّي نفوسَنا بالصلاة وقراءة الكتب الروحيَّة. وهكذا، بمساعدة آبائنا الروحيِّين، سنتمكَّن من التغلُّب على المِحَن في حياتنا وفي العالم من حولنا.

س: قلتَ إنَّه من الجيّد أن يكون لدى المرء أبٌ روحيّ، ولكن، في روسيا في وقتنا الحاليِّ، يوجد كهنةٌ شُبَّانٌ لا يتمتَّعون بما يكفي من الخبرة الروحيَّة أو المواهب الروحيَّة الخاصّة. فما الذي يجب أن يفعله معظم المسيحيِّين الذين لا يمكنهم أن يكونوا على اتِّصالٍ مع أناسٍ قدِّيسين؟

ج: اعتاد الشيخ باييسيوس أن يقول إنَّه حين تغيب المعونة البشريّة، يفيض العَون الإلهيّ. إنَّ ما تقوله منطقيٌّ جدًّا بالطبع، ولكنَّ الأمر ليس كذلك بحسب منطق الله. ليس الله بحاجةٍ إليّ أو إلى أيّ أحد، ولا حتّى إلى الشيخ بورفيريوس أو باييسيوس. يمكن لله أن يحقّق مشيئته في نفوس الناس بنفسه، ولذا يجب ألّا نيأس.

إنَّ الكنيسة هي سرُّ حضور الله وتجلِّيه في هذا العالم. لو أنّك استشرتَ الشيخ باييسيوس من دون إيمانٍ لما كنتَ ستنتفع من ذلك إطلاقًا. والعكس صحيح: إذا استشرتَ أباكَ الروحيّ بإيمانٍ وتواضعٍ باسم المسيح، فستحصل على الإجابة التي تعكس مشيئة الله.

في جبل آثوس، سمعتُ قصّةً عن راهبٍ قد رقد أبوه الروحيّ، فوضع ذلك الراهب ثيابَ شيخه على جذع شجرةٍ مقطوعٍ وقال: "بما أنَّه ليس لديَّ أبٌ روحيٌّ فسأسأل هذا الجذع"، وهذا ما بدأ بفعله. في إحدى المرّات، عندما سأل الجذع سؤالًا سمع صوتًا يقول له: "لا، لا تفعل ذلك!".

يعمل الله وفقًا لإيماننا. أتفهَّمُك تمامًا، ولكنْ، إذا كنّا ننتظر العون من الناس وليس من الله، فنحنُ في مأزق. حتّى في اليونان، كثيرٌ من الناس لم يعرفوا الشيخَين باييسيوس وبورفيريوس، مع أنَّهما كانا قدّيسَين استثنائيَّين. ما يهمُّ هو أن تُواصِلَ كنيسةُ المسيح رسالتها.

س: إذا كان إيمانكَ حيًّا وكنتَ تحبُّ الله، فلن يعوزُك شيئًا سوى الله وكنيسته. ولكنْ كيف تُخلِّص نفسكَ إذا كان إيمانكَ وغيرتكَ الروحيَّة يتراجعان، وكنتَ تشعر بالحاجة إلى هذا العالم الذي هو "كلّه تحت حكم الشرّير" بحسب الرسول يوحنّا؟

ج: على المسيحيّين الذين ينطبق عليهم ذلك أن يفعلوا ما فعله بطرس الرسول حين بدأ يغرق. صرخ قائلًا: "خلِّصني يا ربّ!"، ومدَّ الله إليه يده وخلَّصه.

المسيح حيٌّ! وهو قريبٌ دائمًا. وكلُّ مَن يسألهُ العَون يناله.

س: ماذا لو صلَّيتَ ولم تتلقَّ أيَّة استجابةٍ ملموسةٍ لصلواتك؟ ماذا لو بدا لكَ أنَّ الله لا يجيب؟

ج: إذا انتظرتَ نتائجَ صلواتك، فلن ترى تلك النتائج أبدًا، لأنَّ مُنطلَق صلاةٍ كهذه مُنطلقٌ خاطئ. لا أصلِّي لأحصد أيَّة نتائج. أصلِّي لكي يغفر الله خطاياي ويرحمني.

إنّ الله يمنحنا جسده ودمه، ويغفر خطايانا، ومن خلال الكنيسة، يسكب علينا نعمة الروح القدس. لذلك، جُلَّ ما علينا فعله هو أن نصلّي إلى الله طالبين رحمته بطريقةٍ متواضعةٍ وبسيطة. المتواضع يثق بالله ولا يشكُّ في أنّ الله يسمعه. إذا أردتَ معاينة نتائج صلاتك، فهذا يعني أنَّك تشكُّ فيها. بما أنّ الله لا يشاء أن نتأذّى من جرّاء كبريائنا، فإنّه يُخفي عنّا ثمارَ صلاتنا. من المرجَّح أنْ يكشفها لنا حين نتَّضع، وسنكون قادرين على الاستمتاع بثمار الصلاة حتَّى من دون أن نفهم ذلك.

كانت لراهبٍ رغبةٌ دائمةٌ في رؤية ثمار صلواته، فقال له أحدُ الشيوخ: "أنتَ كمَن يزرع بذرةً في الأرض، ثمّ ينبشُها كلَّ يومٍ ليرى إذا ما كانت قد تجذَّرت. دعْ تلك البذرة في الأرض، واسقِها واعتنِ بها، وستنمو من تلقاء ذاتها".

س: كيف يمكن أن نشرح هذه الحقيقة لمَن هم خارج الكنيسة؟ يظنُّ كثيرون أنّ الحياة متجرٌ كبيرٌ يمكنك أن تشتري منه أيَّ شيءٍ بسرعة. يُشعلون شمعةً ويتوقَّعون من الله أن يشفي سرطانًا، أو أن يساعدهم في إيجاد شقَّةٍ أو عمل، إلخ...

ج: لسنا مُحاميّ الله. ليس علينا دومًا أن نُعلِّلَ ما يفعله الله لكلِّ شخص. علينا أن نُعلِّم الناس أن يحبّوا الله كما يُحبُّه الأطفال، وليس كمتسوِّقين في متجر.

علينا أن نثق بالله وبمشيئته. سيَجِدُ الله سبيلًا إلى قلبِ كلِّ واحدٍ، ويجب ألّا نقلق بشأن ما يجري في العالم ويحصل مع الناس فيه. المسيح هو مخلِّص العالم. صُلِبَ من أجل الناس ولن يكون ظالمًا بحقِّ أحد. سيخاطبُ الله قلبَ كلِّ إنسانٍ عندما يحتاج إليه ذلك الإنسان. حيثما يصمت الله، نصمت نحن أيضًا.

على الجميع أن يُسلِّموا نفوسهم لمشيئة الله. في بعضِ الأحيان، ولكي تشعر بالله في قلبك، لا بدَّ من أن تمرَّ بالكثير من الأحزان والتجارب وسوء الفهم. أتذكُرُ ما حصل مع أيّوب الطويل الأناة؟ تركه الله يمرُّ بالكثير من التجارب وخاطبَهُ فقط في الخِتام. يعلم الله متى يكون الوقتُ مناسبًا ليُخاطب قلبَ الشخص. علينا أن نثق بالله وبمحبّته للعالم أجمع. عندما نرى أحدًا بحاجةٍ إلى الله، علينا أن نُصلِّي من أجله، والله سيلمسُ قلبه بالتأكيد.

س: كيف تُحقّق الكنيسة رسالتها إذًا؟ تقول إنَّه علينا ألَّا نقلق بشأن ما يجري في العالم، وإنَّ الله سيُخاطب قلوب الناس في وقتٍ مؤاتٍ. يمكن أن يعني هذا أنَّه يجب ألَّا يساوِرنا القلقُ بشأن ما إذا كان الناس يذهبون إلى الكنيسة ومتى يذهبون. ولكنْ، يجب أن نفعل شيئًا لنجلب الناس إلى الكنيسة. ماذا يجب أن تكون رسالة الكنيسة الحقيقيّة؟

ج: يزرع الفلّاح بذرةً في الحقل، ثمّ يصلّي إلى الله ليُنمّي تلك البذرة ولا يقلق بشأن ذلك. على نحوٍ مماثل، علينا أن نبذر بذورًا ونسقيها من دون أن نقلق بشأن نموِّها.

س: إلى أيّة درجةٍ يمكننا إذًا أن نقترب من العالم محاولين التأثير فيه؟ تناقش الكنيسة الروسيَّة الوسائل الملائمة للعمل البشاريّ منذ مدّةٍ طويلة. مثلًا، هل يمكن للكهنة أن يرتادوا حفلات الروك ويلعبوا كرة القدم وما إلى ذلك؟ أيمكن استخدام هذه الوسائل لجذب الناس إلى الكنيسة؟

ج: أظنُّ أنّ العالم لا يحتاج إلينا في حفلات الروك ومباريات كرة القدم. أعتقد أنّ العالم يحتاج إلينا حيث يمكن للناس أن يجدونا - أي علينا أن نكون في الكنيسة عند حامل الأيقونة، نستمع إلى الاعترافات ونتواجد هناك لإجراء المحادثات الروحيّة. الناس بحاجةٍ إلى سماع كلمة الله منَّا. هم بحاجةٍ إلى أن نقبلهم بمحبّةٍ وترفُّق. لا ينتظرون منّا الذهاب إلى مباريات كرة القدم أو شرب الكحول في الديسكو. يحتاجون إلى محبّتنا ولطفنا وقداسة حياتنا.

س: لعامَين على التوالي، أتيتَ إلى روسيا للاشتراك في مؤتمرٍ حول الرهبنة. كيف تَصِفُ وضعَ الرهبنة الحاليّ؟

ج: إنّني متأثّرٌ للغاية بكون غبطة البطريرك كيريل ورؤساء الكهنة والكهنة يُظهرون اهتمامًا بشؤون الرهبنة المعاصرة. من الواضح أنّ هناك الكثير من المسائل الواجب مناقشتها والتركيز عليها وتحسينها، ولكن يمكن قول ذلك ليس فقط عن روسيا، بل وحتّى عن جبل آثوس. لكلِّ بلدٍ تقاليده الخاصّة وقوانينه وشعبه. يظهر الرهبان في بلدانٍ مختلفةٍ ويعيشون بين السكّان المحليِّين. وأظنُّ أنَّ كلَّ شيء يسير على ما يرام. هذا لا يعني أنّي لا أرى الواقع. أرى أنَّ كلَّ شيءٍ يتطوَّر بطريقةٍ طبيعيّة، ورؤساء الأديار ورئيساتها ملتزمون بتصحيحِ بعض النقائص وتعلُّم القيام بالأمور بطريقةٍ أفضل.

س: هل يوجد أيُّ ارتباطٍ بين العائلات المسيحيّة الجيّدة والرهبان الجيّدين؟

ج: دائمًا ما أقول إنَّ الراهب الجيِّد كان يمكن أن يكون ربَّ أسرةٍ صالحًا لو أنَّه تزوَّج، وكذلك فإنَّ الراهب السيّئ كان ليكون ربَّ أسرةٍ سيّئًا. إنّ هدف المسيحيِّ في الرهبنة وفي الزواج هو واحد - إنَّه الاتّحاد الأبديّ

بالمسيح. هذا ما ينبغي أن نطمح إليه، سواءٌ في الحياة الرهبانيَّة أم في الحياة الزوجيّة. يمكنك أن تسألني ما إذا كان من الأفضل تحقيق هذا الهدف في الحياة الرهبانيَّة، ولكنْ، لا يمكنني قول ذلك. على كلِّ امرءٍ أن يفعل ما يناسبه لكي يجد المسيح.

س: كثيرًا ما نسمع الناس يقولون "وما الذي يعرفه الرهبان عن حياة العائلة؟".

ج: يجب النظر إلى ما هو أعمق هنا، والنتيجة الأساسيَّة تبقى عينها. تُعلِّمنا كتاباتُ الرهبان النُّسّاك أن نتغلَّب على الأنانيّة والأهواء وأن ننزع "إنساننا العتيق" لكي نبدأ بالتواصل مع أنفسنا ومع الآخرين، والأهمّ من ذلك، مع الله. على المتزوّجين أن يقرؤوا كتابات الآباء الشيوخ ليتعلَّموا كيف يؤسِّسون عائلةً صالحة، لأنَّ كتابات هؤلاء الآباء تحتوي على إجاباتٍ للكثير من المشكلات التي نواجهُها في حياتنا.

س: سيادتك، كونك راعيًا لأبرشيّة كبيرة، وأبًا روحيًّا ورئيسًا للعديد من الأديار، ألديكَ وقتٌ كافٍ لتلقِّي الاعترافات وتقديم الإرشاد الروحيِّ للعلمانيّين؟

ج: في كلِّ مكانٍ في العالم الناطق باليونانيّة -وليس فقط في قبرص- يخصِّصُ الأساقفة وقتًا طويلًا لسماع اعترافات أبناء رعيَّتهم. الاعتراف عندنا مغايرٌ للاعتراف في روسيا. على حدِّ علمي، فإنَّ الاعتراف لديكم قصيرٌ إلى حدٍّ ما، ويقتصر على سرد الخطايا. شعبنا معتادٌ على الاعتراف بطريقةٍ مختلفة: قد يستغرق الاعتراف ساعاتٍ عدّة، لأنّ المعترفين يُقرُّون بخطاياهم ويُخبرون بمشكلاتهم، ويطرحون الأسئلة، وبشكلٍ رئيس، يتحدّثون عن كلِّ ما يُضايقهم.

منذ عدّة أيّامٍ، قصدني مُدرِّسٌ لكي يعترف. أتى في الخامسة مساءً وغادر في السادسة صباحًا. أشكر الله أنَّه كان المعترف الوحيد في ذلك اليوم (يضحك).

س: ما دمتَ تستمع إلى اعترافات الكثير من الناس، فلا بدَّ من أنَّك تعرف الحالة العامّة لنفوسِ أبناء رعيّتك. ما هي الخطايا الأكثر شيوعًا في أيّامنا هذه؟

ج: أحد أسباب سماعي الاعترافات بنفسي هو أنَّني لا أريد أن أخسر التواصل مع الناس، لا أريد أن أجلس في المكتب وأكون أشبَهَ بالمدير. الاعتراف هو أبسط طريقةٍ للتعرُّفِ إلى ما يفكّر فيه الناس وفهمِ مشكلاتهم وهمومهم. تغمرني سعادةٌ كبيرةٌ حين ينظر الناس إلى أسقفهم كأبٍ لهم. أُسَرُّ حين أعلم أنّ الناس يمكنهم المجيء إلى كنيستي وإيجادي هناك ليخبروني بمشكلاتهم.

أذهبُ إلى مكتبي في الأبرشيّة مرَّةً أو مرَّتين في الشهر. أشعر هناك بأنّي كالعُمدةِ، لذلك أُفضِّل التواجُد في الكنيسة ولقاء الناس فيها. الكنيسة هي المكان الطبيعيّ للأسقف.

س: ومع ذلك، ما هي برأيك أعظم المشكلات الروحيَّة في زمننا؟

ج: انظر.. اسمُ الخطيئة (القتل، الإجهاض، الشهوة...) ليس مُهمًّا؛ بل المهمُّ هو جوهر الخطيئة. وجوهر كلِّ خطيئةٍ هو ترك الله.

في اليونانية، تعني كلمة خطيئة (ἁμαρτία) أن تخطئ الهدف. حين كان اليونانيّون القُدماء يرمون السِّهام ويخطئون أهدافهم، كانوا يصرخون "ἥμαρτον" التي تعني "لقد خطئتُ"، أي "لقد أخطأتُ الهدف". حين لا يحمل الناسُ المسيحَ في قلوبهم، فإنّهم يقومون باتّخاذ الخيارات الخاطئة.

أصبحتُ أبًا روحيًّا وبدأتُ بالاستماع إلى الاعترافات حين كنتُ أعيش في الجبل المقدّس، وكنتُ شابًّا. ذات مرّة، سألتُ الشيخ بايسيوس عن الأسئلة التي يجب أن أطرحها على الناس الذين يأتون للاعتراف. فبعضهم كانوا يطلبون منّي أن أسألهم لكي يجيبوا. قال لي الشيخ بايسيوس: "حاول تجنُّبَ طَرح الأسئلة، ولكن إذا أصرَّ الناس، يجب أن تسأل أوَّلًا: هل تحبُّ المسيح؟ ما هي علاقتكَ بالله؟ ثمّ اسألهم إذا كانوا يحبّون الناسَ المحيطين بهم، وإذا كانوا يحبّون أنفسهم وظروفهم، وفقط بعد ذلك، اسألهم عن كلِّ ما تبقى". ولهذا يقول الله إنَّ أوّل وأعظم وصيّة هي: "أن تحبّ الربَّ إلهكَ مِن كلّ قلبكَ" (متّى 22: 37-38). والباقي يتبَع.

س: ذكرتَ الشيخ بايسيوس. كثيرًا ما تذكُر تعاليم الشيوخ بايسيوس وبورفيريوس ويوسف [الفاتوبيذي].

ج: هذا صحيح. عندما كنتُ طالبًا، وكنتُ حينها شابًّا صغيرًا جدًّا، رتَّبَ الله أن ألتقي بالكثير من القدّيسين المعاصرين. كنتُ أعرف الشيخ أثناسيوس من الدير. وفي ديرٍ آخر في قبرص، كنتُ أتحدَّث إلى شيخٍ آخر يُدعى أثناسيوس، وكان رجلًا تقيًّا جدًّا. لاحقًا، حين أتيتُ إلى اليونان، تعرَّفتُ إلى الشيخ أفرام والشيخ خارالمبوس من دير ديونيسيو، والشيخ أفرام الذي يعيش الآن في أريزونا (الولايات المتّحدة)[1]، والشيخ يوسف الذي كان أبي الروحيّ وشرطنَني. أنعمَ عليَّ الله بأن ألتقي بالشيخ بورفيريوس، والشيخ يعقوب من إيفيا، والشيخ فيلوثيوس، والشيخ صوفروني من إسّكس، والشيخ إيميليانوس من دير سيمونوبترا، والكثير من الشيوخ الأقلّ شهرة. سمعتُ الكثير من التوصيات والعِظات من جميعهم.

الانطباع العامّ الذي تولَّدَ لديَّ من التواصل مع هؤلاء كلِّهم هو أنَّهم، وبنعمة الله، كانوا أصحَّاء روحيًّا ونفسيًّا. لم تكن لديهم عيوب. لم يكونوا صارمين بشكلٍ مبالَغ فيه. كان الشيوخ هادئي الطِّباع وحصيفين وخلوقين. كانوا ممتلئين بمحبّة الله ومحبّة الناس. وكانوا أيضًا أناسًا فرِحين جدًّا.

حين كنتَ تنظر إلى أيٍّ منهم، كنتَ تفكّر في نفسك أنَّه هكذا كان الإنسان الذي خلقه الله، لأنّهم حافظوا على صورة الله في قلوبهم، وكانوا مشابهين لأبيهم السماويّ. كانوا جميعًا أبناءَ الكنيسة. جميعهم علَّموا أنّه علينا أن نبقى على اتّصالٍ مع الكنيسة، وأن يكون لدينا سلامٌ في نفوسنا بغضّ النظر عن ظروف حياتنا، وأن ننظر إلى كلِّ شيءٍ بعَينَي المسيح. يمكنني الحديثُ عنهم لساعات، ولكن لا أريد أن آخذ الكثير من وقتك.

س: من المؤكّد أنَّ هناك تعاليم محدَّدةً عالقةٌ في ذهنك. أيٌّ منها تذكرُ في أحاديثكَ أكثر؟

ج: دائمًا ما كان الشيخ باييسيوس يدعو الناس إلى العمل بجدٍّ لكي لا يُخيِّبوا الله. كان يقول على الأخصّ: "أعلم أنّي أستحقُّ الذهاب إلى الجحيم، ولكنّي لا أريد الذهاب إلى هناك لئلّا أخيّب يسوع".

كان الشيخ أفرام كاتوناكيا يقول دائمًا إنّ إتمام عمل الطاعة هو كلُّ شيءٍ بالنسبة إلى الراهب.

[1] رقد في العام 2019 (المترجم).

كان الشيخ بورفيريوس يقول إنّ الله هو كلُّ شيء - "يُفرِّحنا دومًا أن نكون مع المسيح وسنذهب إلى حيث يذهب. حتّى إذا كان علينا الذهاب إلى الجحيم، فإنّنا سنذهب بفرحٍ إذا كان المسيحُ معنا".

كان هناك أمرٌ مشتركٌ في حياة هؤلاء القدّيسين - جميعهم عاشوا بالمسيح. أتذكّر كيف كان شيخُنا يوسف يأتي للعشاء معنا، وكنّا نقرأ في أثناء ذلك بعض الإرشادات الروحيَّة أو نقرأ من كتابٍ، وما إن كان الشيخ يسمع كلمة "المسيح" حتّى كان يبدأ بالبكاء ولا يعود قادرًا على تناول الطعام.

س: أشكر سيادتكَ شكرًا جزيلًا على هذا الحوار العميق. في الختام، هل يمكنك أن تقول شيئًا لقرَّائنا؟

ج: لا يمكنني قول شيءٍ من نفسي. وكلّ هذه الأحاديث والعظات التي ينشرها إخوتنا في روسيا، والتي أنا ممتنٌّ لها، هي أيضًا ليست كلماتٍ من أنفسهم.

جلُّ ما يمكنني قوله هو أنّنا كلّنا بحاجةٍ إلى أن نحبَّ المسيح، وإذا ما حملناه في قلوبنا، فإنَّ كلَّ شيءٍ سيكون على ما يُرام. وإلا فإنَّ كلَّ شيءٍ سيَنهار.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol (2015). “It is Our Fault if There Are People Who Do Not Know Christ”. Retrieved online from *OrthoChristian.com*.